الوحده و الاخوه الاسلاميه

مرادقليچ مقامي نيا

و قد رأي النبي (ص) أن يبدأ في تنظيم المجتمع المدني الجديد الذي أصبح يحكم واقعة مجال الدعوة الاولي و منبعها الذي تنبعث من أشعتة المشرقة لتضيء الحياة أمام السالكين في مفاوز الايمان بالدعوة الجديدة و بدأ النبي (ص) بتنظيم المجتع الاسلامي ، فآخي بين المومنين من المهاجرين و الأنصار إخاء تجاوز حدود المؤاساة و المساواة الايمانيةو العواطف الوجدانية الي المشاركة المادية و الحقيقية ،فجعل كل من عقد بينهم أواصر الإخاء شركاء في السراء و الضراءيتقاسمون الحياة حلوها و مرها ،و جعل هذه المشاركة حقا مشرعا عمل به في صدر الاسلام حتي وسع الله علي المؤمنين أرزاقهم و أسبل عليهم خلائع نعمه في دينهم و دنياهم ، و كانوا يتوارثون بمقتضي هذا الأخاء حتي نزل القرآن يرد الأمور الي اصولها و نزل قول الله تعالي “وأولو الارحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله” (1) و نزلت المواريث مفصلة بنصوصها ، و بقي الاخاء الايماني أقوي و أسمح و قد تسامي به الأنصار مع أخوانهم المهاجرين الي مرتبة الايثار ، وهي ارفع مراتب المكارم ، و سجل الله تعالي لهم ذلك الفضل قرانا يتلي و يتعبد به الي يوم القيامة فقال تعالي: “والذين تبوؤا الدار و الايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم و لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون علي أنفسهم و لو كان بهم خصاصه و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون” الاية (2) و قد حفظ تاريخ الدعوة الاسلامية في سجل مفاخره التي لا تسامي لونا من التطبيق الواقعي لهذا الإخاء ،كان عجبا من العجب ،فقد بلغ السمو بهذا الاخاء أن سعد بن الربيع الانصاري جعله النبي (ص) أخا لعبد الرحمن بن عوف ، و كان رسول الله (ص) اخا لعلي ابن ابي طالب عليهم اسلام ، و بلال الحبشي أخا لرويحة الحثعمي .

هذا لون من السياسة الحكيمة الراشدة التي تفتح عنها النبوي في الدعوة الي الله و قد كان المجتمع الايماني أحوج ما يكون الي هذا التنظيم الذي رفع عن كاهل المهاجرين ـ و هم الذين فارقوا اوطانهم و ديارهم و أموالهم فرارا الي الله تعالي بدينهم ـ عبأ ما قاسوا من شدائد البلاء و عظائم المحن و عبأ ما يقاسون من شدائد الغربة و الفاقة . بل أن هذا التنظيم الأخوي كان عظيم الاثر في حياة المجتمع الايماني الجديد التي أذن الله فيها للمؤمنين بالإنتصاف من عدوهم و محاربته ورد عداونه بعد أن كانوا ممنوعين من ذلك مأمورين بالصبر علي الأذي و العفو عن السفهاء و الصفح عن الجاهلين فكانت كتايبتهم المجاهدة تخرج الي ميادين الجهاد علي اساس هذا الاخاء الذي ربط المجتمع الايماني بروابط الدم و الفطرة ، و نزل القرآن الكريم محكما لهذه الروابط فقال تعالي :” ان الذين آمنوا و هاجروا بأموالهم و انفسهم في سبيل الله و الذين آووا و نصروا اولئك بعضهم اولياء بعض .” (3)

فيجب للمؤمنين ان يهتموا لتوحيد صفوفهم و قيادتهم بزمام الوحدة الايمانية ليكونوا أمام اعدائهم صفا واحدا يربطه الاخاء الايماني في اي بيئة كانوا و قوة متماسكه تنهض بالوحدة لدفع كيد اعداءالاسلام و بايجاد التعاون بين المسلمين تعاونا صادقا الذي يشعر فيه كل افراد أو طائفه أنه يعمل لنفسه و لمجتمعه الذي هو عضو فيه تحقيقا لقول النبي (ص) في تصوير وحدة الأحساس و الشعور بين المؤمنين “المؤمن في توادهم و تعاطفهم كالجسد اذا اشتكي منه عضو تداعي ـ له سائر الأعضاء بالحمي و السهر” و قوله (ص):” المومن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .” و ايضا فالمجتمع الاسلامي في ظل النظام التشريعي سواسية أفراده و جماعاته في الحقوق و الواجبات ، و من أورع ما ورد في ذلك قول النبي صلي علي عليه و سلم:” المسلمون تتكافأ بدماؤهم و يسعي بذمتهم أدناهم ، و هم يد علي من سواهم” فالله سبحانه تعالي يرشد رسوله (ص) الي اقوم منهج في تأليف قلوب المجتمع الايماني وجمع كلمته و تماسك وحدته ، فالطبيعة البشريه موضع الزلل و الخطاء و موضع للانحراف عن الجادة ،فاذا وقع هذا الخطاء أو الانحراف فلا ينبغي أن يتخذ سبيلا للنفرة في اول وهلة و لهذا يجب ان ينظر القائد الي امته نظرة مودة و ألفةو اصلاح . و قد اكد النبي (ص) بالتمسك بكتاب الله و العمل به و الحرص علي اقامة منارته و الترغيب في تطبيق أحكامه في خطبة يوم غدير خم ، و قد رواها مسلم في صحيحه :كما اوصي رسول الله باهل بيته و قال: اذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات.

دعوة الرسول الي الأتحاد في المجتمع

من البديهي ان الله سبحانه يريد للاسلام أن يحكم العالم و يهيمن علي كل السلوك و المواقف البشرية جمعا بهديه و تعاليمه و الاسلام يريد وحدة الهدف و المصير ، و علي اساس ذلك تقوم وحدة الرسالة .

و لكن ما هو الرابط الذي يشد الأمة بعضها ببعض ثم يربطها بما سبق ؟ و علي اي أساس يقوم ذلك الرابط بنظر الاسلام ؟

و الأجابة عن هذا التساؤل هي التي تحدد اتجاه العمل و بها تتضبط كل المواقف و الحركات الهادفةمن خلال الاحساس بالمسئولية الشرعية الانسانيةو الوجدانية ، حيث تتوجه الطاقات كلها نحو تركيز تلك الأسس و تحقيق تلك المنطلقات التي لابد و أن تقوم عليها عمليةالربط الضرورية التي ذكرناها . فالوحدة تحتاج الي بذل الكثير من الجهد للوصول بالامة الي درجة من النضج الفكري و الانساني ،الذي ربما لا يكون متوفرا في أحيان كثيرة ، حتي أن عدم وجود هذه الوحدة يعتبر دليلا علي عدم النضج في الوعي ، و في الالتزام لدي الأمة الاسلامية ، اذا كان كذلك ، فتمس الحاجة مرحليا الي تعامل وحدوي من أجل دفع الاخطار التي يمكن أن تتعرض لها الأمة في مسيرتها ، سواء كانت أخطارا طبيعية أو من قبل أعدائها .

أن وحدة المصير تحتم وحدة النضال و التصدي ، واذا استندت وحدة النضال و التصدي الي وحدة المنطلقات و الأهداف فانها تكون أعظم فعالية و أبعد أثرا و الا فانها لا تعدو عن أن تكون عملا مرحليا يسير معه جنبا الي جنب العمل علي توحيد المنطلقات و الأهداف علي الأسس الصحيحة و الواقعية التي لابد و أن يتم استقاؤها من مصادرها الحقيقية ثم العمل في سبيل تحقيقها و الحصول عليها بجد و مثابرة هذا الاتحاد ، أو فقل التعامل الوحدوي ، مطلوب اسلاميا و محبوب بمختلف أبعاده و درجاته و علي جميع المستويات ، و لكنه ليس هو كل المطلوب و انما هو بديل اضطراري موقت لابد من القبول و الرضا به بانتظار تحقيق الوحدة الاسلامية ، بل لابد من التحرك في المجالين معا لأن احدهما ضرورة مرحلية فعلية فرضتها الأخطار الجسام التي يتعرض لها الاسلام و المسلمون بالفعل ، و الأخر ضرورة انسانية و مصيرية ربما تحتاج الي كثير من الوقت و الجهد و البحث و التمحيص للحقائق العليمه ، ثم الي تربية نفسية لخلق درجة من الاستعداد النفسي و السموالانساني لتحقيقها ، و في مجال المساهمه في معرفة ما ذكر نشير الي ما يمكن أن نعتبره يمثل رأي الاسلام في هذا المجال و هو :الاخوة الاسلامية ،ان الاسلوب و المنهج النبوي يعتبر الأمة المسلمة بمثابة الاسرة الواحدة التي لها من يقوم بأمرها و يدير شؤونها و يشرف علي امورها ، فيقول (ص):” يا علي انا و أنت أبوا هذه الأمة “(4) و اما الذي يشد هذه الأسرة بعضها الي بعض فهو روح الأخوة النبيلة ،التي ليس فقط يغمرها العطف و المحبة و الحنان ، و انما هي اخوة مسئووله تتحمل مسئولياتها بوعي و حيوية و تؤثر آثارها الايجابيةعلي الصعيد العملي و الواقع الخارجي و اما مرتكزات الاخوة فانها بمراجعة التاريخ نجد أن النبي الأعظم (ص) جعل تلك الاخوة مرتكزة علي امرين : الاول : الحق و الثاني : المواساة . فعن طريق الحق يحصل الرضا و التفاهم ثم الثقة المتبادله و يكون الفيصل في كل مقام تختلف فيه الاهواء و المصالح ، فالحق هو الاساس الذي تقوم عليه العلاقات و تبني عليه المعاملات و المواقف و اما المواساة فهي في الحقيقة درجة اعلي من العدل لانها في أحيان كثيرة تعني البذل و التضحية و التخلي عن كثير مما اكتسبه الانسان لصالحه الخاص ، و عن طريقه تستطيع الأمة مواجهة الظروف و التقليل من آثارها و مواجهة مختلف الضغوط بجميع اشكالها التي يمكن أن يمارسها أعداؤها ضدها من اجل القضاء عليها .

و هذا علي (ع ) ينادي بأعلي صوته :” الزموا سواد الأعظم فان يدالله مع الجماعة و اياكم الفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب ألا من دعا الي هذا الشعار ( اي الفرقة ) فاقتلوه و لو كان تحت عمامتي هذه.” (5)

الوحدة سر النجاة و الفوز

قال الله في قرآن كريم :” و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا الخ” (6) و كما قال الله : “و اطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم الخ” (7) فأن اهم عوامل عزة الاسلام ، ألا و هي عصمتهم بحبل الله المتين و البعد عن التفرقة فان التفرقة تذهب ريح المسلمين و تشتت آراءهم و تضعف قوامهم و لو لا التفرق و الاختلاف و تنازعهم و تمزق وحدتهم لما نال منهم اعداؤهم ما يبتغون و لما استطاعوا أن يتسلطوا عليهم بالقهر و الغلبة .

قال الله عز و جل :” يا محمد اني اعطيتك لامتك الا أسلط عليهم عدوا من سوي انفهسم فيستبيحهم بعامة و لو اجتمع من بأقطارها حتي يكون بعضهم هو يهلك بعضا و بعضهم هو يسبي بعضا” رواه احمد . و” كان الانسان اكثر شيءجدلا “(8)

اركان و عمود الوحدة بين أفراد الامة الاسلامية

ان كل بنيان يراد له البقاء و مواكبة العصور و الاجيال لابد أن يقوم علي أسس قوية و قواعد راسخة تضمن له دوام المتانةو التماسك ، و تجعله صامدا بوجه تقلبات الأيام و صروف الدهر و لما كانت الأمة الاسلامية آخر الامم و أطولها بقاء في الارض و عليها تقوم الساعة فان دينها الحنيف وضع لها من القواعد الراسخة و الاصول الثابته ما يكفل لها قيام وحدة متماسكة لا تنال من صلابتها الزلازل و لا توهن بنيتها العواصف و تلك هي مقومات الوحدة التي تتكون من ستة عناصر هي : الارض، تقرير الاخوة بين أفراد الأمة الاسلامية، تشريع القيادة الواحدة ، تقرير المساوات بين أفراد الأمة ، تشريع القبلة الواحدة و الاعتصام بالكتاب و السنة .

و هذا تفصيل القول في كل اصل من هذه الاصول :

1- اما الارض فهي مستقر الاسلام و هي الدار التي يأوي اليها المؤمنون و عليها تقوم دولة الاسلام و منها تنطلق دعوته “ و الذين تبوؤا الدار و الأيمان من قبلهم “ (9)” و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون” (10) و قوله تعالي “الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر . . .” (11) و ان الأرض الموصوفة بهذه الصفات هي درع الايمان و بيضة الاسلام و مهجر المستضعفين من المؤمنين و ملجأ الخائفين و المأوي الفارين بدينهم من الفتن و أن أمة لا تملك ارضا تأوي اليها لهي أمة مقطعة في الارض و مشردة في البلاد لا يستطيع أفرادها حيلة و لا يهتدون سبيلا .

2 - و اما الاخوة في الاسلام ليست كلمة مرسلة لا مدلول لها أو شعارا أجوف لا معني من ورائه ،بل هي حقيقة راسخة في الحياة الاسلامية و خليقة قائمة بين المسلمين لها آثارها في واقعهم و لها مظاهرها في سلوكهم و مختلف احوالهم ، لا نها ملازمة للايمان و منبثقة عنه و من ثم فهي تابعة لها في الوجود و العدم و في الظهور و الخفاء . و قد جعل الاسلام آثار الاخوة الاسلامية أمورا ثلاثة : الاول : وجوب الحب المتبادل بين المسلمين كما يقرره قول الله عز و جل “أن الذين أمنو و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا .” (12)

و يقول النبي عليه السلام :”و الذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتي تؤمنوا و لا تؤمنوا حتي تحابوا ، أولا أدلكم علي شيء اذا فعلتموه تحابيتم ؟ افشوا السلام بينكم .”

الثاني :وضع نظام الحقوق بين أبناء الاسلام ، فقد شرع الاسلام نظام الحقوق بين المسلمين و جعل العمل به أمرا لازما للاخوة في الدين ، و مظهرا لقوة الايمان و اليقين و هي حقوق شملت كل جوانب الحياة و أحوال المسلمين كافة . ما ظهر منها و ما بطن و ما خفي و ما انتشر فللوالدين حقوقهما ، للأولاد حقوقهم و للزوجين حقوق متبادلة بينهما ، و للأرقاب حقوقهم التي يتداولونها بينهم و للجار حقه ، وللضيف حقه و للفقير حقه ، و للمحروم حقه ( و هو العاجز عن كسب حقه ) و للعامل حقه و لرب العمل حقه و للمسلم علي أخيه حقوق متبادلة بينهما و للطريق حقه و للرعية حقوقها علي الراعي و للراعي حقوقه علي الرعية .

الثالث : وضع نظام التكافل و التأزر بين الاخوة في الله و هو من لوازم الأخوة و شعبها و يقول النبي (ص) :”المؤمن مرآة اخيه” رواه الطبراني .

3 - و اما الاصل الثالث من مقومات الوحدة الاسلامية فهو تشريع القيادة الواحدة للامة المسلمة و جعلها كتلة غير قابلة للتقطيع أو التجزي ، و التأكيد علي السمع و الطاعة لولاة الأمر ما أطاعو الله و اقاموا شريعته ، يقول النبي (ص) :”اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منهما” رواه مسلم . و يقول النبي (ص):” و اسمعوا و اطيعوا و ان أستعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة فأقام فيكم كتاب الله” رواه البخاري .

4 - الاصل الرابع من مقومات وحدة الأمة فهو اعتصام أهل الاسلام بالكتاب و السنة و اجتماعهم عليهما و اتفاقهم علي العمل بهما مصداقا لقول الله عزوجل:” و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا . ..” (13) و قوله سبحانه:” و ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله”(14) و يقول النبي (ص) :” تركت فيكم شيئن لن تضلوا بعد هما كتاب الله و سنتي و لن يفترقا حتي يردا علي الحوض” رواه الحاكم. و يقول عليه السلام : “ايها الناس ! قد تركت فيكم ما أن آخذتم به لن تضلوا كتاب الله و عترتي اهل بيتي “ رواه الترمذي . و الاستمساك بالكتاب و السنة و التزام احكامهما سلوكا و خلقا و عقيدة مما يستلزمه الايمان الصادق و اليقين الراسخ و يجمع المؤمنين علي مرجع واحد ، يرجعون الي توجيهه في امور دينهم و دنياهم و يحكومنه في ما شجر بينهم ،فلا يجدون في صدورهم حرجا من قضائه و يسلمون لحكمه تسليما تاما ، لكونهم يعلمون انه القول الفصل و المرجع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و بذلك تتألف قلوبهم علي الحق و يجتمعون علي إتباع سبيله و انما ضل من ضل من اهل الاسلام بتجاوز هم الكتاب و السنة و التقديم بين يدي الله و رسوله و ابتداعهم مرجعيات متعددة انزلوها منزلة الوحي و اعتمدوا ما صدر منها من احكام و توجيهات و رضوا بها بديلا عن حكم الله و رسوله ، فتفرقت بهم السبل و ضلوا عن سبيل الله و صاروا طرائق قددا و أخرابا ، كل حزب بما لديهم فرحون و كل فريق بما عندهم مقتنعون . ولوانهم اقاموا وجوهم للكتاب و السنة و وقفوا عند نصوصها فلم يتقدموا عليها و لم يتخلفوا عنها لكانوا علي هدي من ربهم و لثبتوا علي الحجة البيضاء و لاستقاموا جميعا علي كلة سواء .

5 - واما الاصل الخامس من مقومات الوحدة الاسلامية فيتجلي في تشريع القبلة الواحدة للمسلمين في مشارق الارض و مغاربها ، اذ يجب علي كل مسلم حيثما كان من الارض ان يستقبل المسجد الحرام كما امره بذلك رب العباد فقال :”فول وجهك شطر المسجد الحرام و حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره .” (15) ومن أجل ذلك قال النبي (ص):” من صلي صلاتنا و استقبل قبلتنا و أكل ذبيحتنا فذاك المسلم الذي له ذمة الله و ذمة رسوله فلا تحقروا الله في ذمته “رواه البخاري . ان شعور المسلم بكونه يستقبل القبلة التي يستقبلها اخوته المؤمنون في مشارق الارض و مغاربها يجعله ينجذب تلقائيا الي أهل ملته و يعد نفسه فردا من افراد الأمة الاسلاميةو عضوا من أعضاء جسدها و ان كان لا يعرف منها احدا و لا يعرفه منهم احدا .

6 - و اما الاصل السادس من مقومات وحدة الاسلامية فإنه تقرير المساواة بين أفراد الأمة ، و اعتبارهم جميعا بمنزلة من الحق و العدل و الاحترام ،فلا يعلو بعضهم علي بعض بمال أو جاه أو منصب و لا يفخر احد منهم علي احد بقبيلة أو شعب أو عشيرة فاختلاف الناس في أوطانهم و اعمالهم و مناصبهم لا يعد في الاسلام مدعاة للتفاخر و التفاصل و التعالي ، و لا يعتبر معيارا صادقا للتمييز بين الناس و تقديم بعضهم علي بعض كما بين سبحانه تعالي : “ يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثي و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا أن اكرمكم عند الله اتقاكم “ (16) و قال النبي (ص) في حجة الوداع : “ يا ايها الناس ان ربكم واحد و أباكم واحد ، ألا لافضل لعربي علي أعجمي و لا لأعجمي علي عربي و لا لأسود علي أحمر و لا لأحمر علي أسود الا بالتقوي “ رواه احمد .

مرسخات الوحدة الاسلامية و مغذياتها

ان مقومات الوحدة التي ذكرناها آنفا هي مبادي عالقة بوجدان كل مؤمن و فكره و درايته و هو مقتنع بشرعيتها و موقن بحتمية وجودها من أجل تحقيق الوحدة الاسلامية المكتوبة الا ان الايمان و الاقتناع بضرورة وحدة الأمة لا يكفي وحده بل يجب علي أهلها اظهارها في واقع الأمر و يلزم علي كل مسلم بقدر الاستطاعة ان يساهم في انجازها و تثبيت قوائمها بين اخوانه . من اجل ذلك وضع الاسلام طائفة من التشريعات التي ترمي الي ترسيخ اركان الوحدة و تستهدف تغذية روحها في أفراد الأمة الاسلامية ، وهي تشريعات يطالبها كل مسلم علي حسب مقتضيات الزمن و الاحوال ، فيكون قد ساهم باقامتها في تثبيت عماد الوحدة الاسلامية و تقويم قواعدها ، و من هذه التشريعات :

1 - اقامة الصلواة بالجماعة و بيان مزيتها من اداء الصلواة منفردا.

2 - و تشريع الصلواة الجامعة ، كصلاة الجمعه و العيدين و صلاة الاستسقاء ، و صلوة الكسوف و الخسوف و غيرها.

3 - افشاء السلام و طلاقة الوجه و التبسم عند اللقاءو المصافحة ، و الكلمة الطيبة فكلها اسباب تقويم الروابط فيما بين المؤمنين و توثيق المودة بين الأخوة وبين الناس عامة.

4 - ايجاد التناصر و التأزر بين الاخوان كما قال النبي (ص):” انصر اخاك ظالما او مظلوما، قالوا: ننصره مظلموا فكيف ظالما ؟ قال تمنعه من الظلم فذلك نصر له” رواه البخاري و احمد .

و قال النبي عليه السلام :” المسلم اخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه” رواه الشيخان. ( اي لا يترك الي الهلاك )

كما وضع الاسلام القواعد و الأسس لبناء وحدة الأمة و رعايتها ، وضع قواعد أخري لصيانة هذه الوحدة و حمايتها من الفشل و التصدع ، و من تلك القواعد :

1 ـ وجوب قيام مهمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في المجتمع الاسلامي ؛ و علة قيام هذه المهمة ارصاد المنكر و أهله في المجتمع ، لردعهم و الأخذ علي أيديهم حتي لايشيع الفساد في المجتمع و حينئذ ينقسم المجتمع الي فريقين فريق يميل الي الخير و يستقيم عليه و فريق يخرج عن الحق و يرتكب المنكرات و ينشرها بين الناس ، و تلك بذور الشقاق و التمزق ، و من أجل ذلك قال الله تعالي : “و لتكن منكم أمة يدعون الي الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون و لا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا من بعد ما جاء هم “(17 )

2 - الأمر بالتحاكم الي الكتاب و السنة عند التنازع و الاختلاف ، ورد الأمر الي الله و رسوله عند تعدد الآراء حوله و تعذر الاتفاق فيه علي كلمة سواء . يقول عزوجل:” فان تنازعتم في شيء فردوه الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا” (18 )

ذلك ان التنازع و الاختلاف انما هو نتيجة لتعدد الآراء و تباين الاتجاهات و في هذه الحال لايتم التغلب علي مثل هذا الخلاف و السيطرة عليه الا برده الي مرجع يتفق المختلفون علي وجاهته و الاذعان لحكمه و من ثم كان الامر برد التنازع الي الله و رسوله هو التوجيه الرشيد و النصح السديد الذي يفصل في النزاع قبل تفاقمه و يفض الخلاف قبل انتشاره و اتساع رقعته .

3 ـ الامر بالاصلاح بين المتخاصمين و التوفيق بين المتشاجرين حتي لا تطول بينهم العداوة و الشحناء و لا ينقب ما بينهم من الود و الأخوة الي غل و بغضاء و ذلك قول الله تعالي : “فاتقوا الله و اصلحوا ذات بينكم” (19)” انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم “(20) و اصلاح ذات البين لوحدة الأمة كالعلاج لليدين من الأمراض التي تطرأ عليه بين الحين و الآخر و هو يرد الي البدن صحته و عافيته و يحفظ عليه قوته و سلامته اما اذا أهمل المرض الطاري علي البدن و ترك دون علاج فانه يصير تهديدا للبدن كله ، و يكون نذيرا بوهنه و ضعفه ، و الأمة الاسلامية مثل الجسد كما وصفها النبي محمد مصطفي صلي الله عليه و سلم :”اذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الأعضاء الخ” ( الاستبعاد عن عوامل تخريب الوحدة )

لا تتم الاستقامة الا باجتناب دواعي الزيغ و لا تتحقق السلامة الا بأخذ الحذر من الآفات ، و لا تصمد وحدة الأمة و لا يدوم تماسكها الا باتقاء عوامل الهدم و استبعاد المقوضات و من ثم وجه الاسلام أنظار الامة الي مهدمات وحدتها و حذرها من الوقوع في مزالقها حتي لا تكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا و لا تكون من الذين وصفهم الله” يخربون بيوتهم بأيديهم “ (21) و هكذا حذر الاسلام امته من الاختلاف و التفرق و جاء ت التحذيرات في القرآن الكريم و السنة كثيرة و متكررة .

قضية الشيعه و السني

هذه القضية هي في رأي قضية ايمان و علم معا ، فاما انها قضية علم فان الفريقين يقيمان صلتهما بالاسلام علي الايمان بكتاب الله و سنة رسوله ، و يتفقان اتفاقا مطلقا علي الاصول الجامعة في هذا الدين فيما نعلم فان اشتجرت الآراء بعد ذلك في الفروع الفقهيه و التشريعيه فان مذاهب المسلمين كلها سواء في أن للمجتهد أجره ، أخطأ أم أصاب . و ثبوت الاجر له قاطع بداهة في ابعاد الظنة و نفي الريبة أن تناله من قرب أو بعد علي أن الخطا العلمي ـ و تلك سماحة الاسلام في تقديره ـ ليس حكما علي مذهب بعينه و من الشطط القول بذلك .

و عند ما يدخل مجال الفقه المقارن ، و نقيس الشقة التي يحدثها الخلاف العلمي بين رأي و رأي أوبين تصحيح حديث و تضعيفه نجد المدي بين الشيعه و السنة كالمدي بين المذهب الفقهي لابي حنيفه و المذهب الشافعي و المالكي أو المدي بين من يعملون ظاهر النص و من يأخذون بموضوعه و فحواه ،و نحن نري الجميع سواء في نشدان الحقيقة و إن اختلفت الاساليب و نري الحصيلة العلميه لهذا الجهد الفقهي جديرة بالحفاوة و ادمان النظر و إحسان الدراسة فهي تراث علي مقدور و مشهور . و اما انها قضية ايمان فاني لا احسب ضمير مسلم يرضي بافتعال الخلاف و تسعير البغضاء بين أبناء أمة واحدة و لو كان ذلك لعلة قائمة . فكيف لو لم تكن هناك علة قط ؟ كيف يرضي المؤمن صادق الصلة بالله أن تختلق الأسباب اختلافا لإفساد ما بين الأخوة و اقامة علائقهم علي اصطياء الشبه و تجسيم التوافه و اطلاق الدعايات الماكرة و التغرير بالسذج و الهمل . و هب ذلك يقع فيه امرؤ تعوزه التجربة ، و تنقصه الخبرة فكيف تقع فيه امة ذاقت الويلات من شئوم الخلاف و لم يجد عدوها ثغرة للنفاذ الي صميمها الا من هذا الخلل المصطنع عن خطاء أو عن تهور .

و لقد رأينا مع بعض رجال التقريب أن نقوم بعمل ايجابي لعله أن يكون حاسما سدا لهذه الفجوة التي خلقتها الأهواء فرأيت أن يتولي المجتهدون ضمن المذهب الفقهي للشيعه الامامية الي فقه المذاهب الاربعة المدروسة في الجامعات و المدارس الأخري في بلدان الاسلامية و نحن المسلمين بحاجة ماسة الي أن نبني علاقاتنا علي هذه الأسس و ان نزيح من طريقنا الي المستقبل الطيب ما خلفته الايام و الأهواء من عقبات و هكذا لا فرق بين الشيعة و السنة في الاحكام و الفقه ، لان في الصلاة نري كثيرا جدا من وجوه الوفاق مع بقية المذاهب مثلا فلا صلاة الا بتكبيرة الاحرام و لا صلاة الا بفاتحة الكتاب و لا خلاف في عدد الفرايض و لا في الركعات و السجدات و الحج و الاعتكاف الخ . (المختصر النافع في فقه الامية، ص 2 )

لما تنبه العالم الاسلامي من غفلة النوم في عصرنا الحاضر فطلب النجاة من سيطرة الاستعمار و لكن أصبح العالم بلا مرجعية حتي يستند اليها و من هنا صارت مهمة المسلمين اعادة وحدة الأمة الأسلامية لينجوا من الضيق و الضعف الي مرحلة العزة و الكرامة فواقع العالمنا المعاصر يحتاج الي قيام كتلة عالمية تضم كل الدول و الكيانات الاسلامية في العالم الاسلامي و نحن نعلم يقينا أن النبي (ص) و اصحابه الكرام و ائمة اهل البيت عليهم السلام كانوا يهتمون بتطبيق صورة الوحدة الاسلامية و يثبتونها بالعمل في الماضي . و كذلك لقد سبقونا علماء نا العظام و من جملتها جمال الدين افغاني و محمد عبده و رشيد رضا و الكواكبي و الشيخ المراغي و الشيخ كاشف الغطاء و شرف الدين و آية الله البروجردي و أخيرا امام الأمة آيه الله الخميني قائد الثورة الاسلامية في بناء اسس الوحدة الاسلامية . مما لا شك فيه أن الجمهورية الاسلامية الحكيمه تبذل جهدها في سبيل تحقيق و تعزيز الوحدة الاسلامية في جهود كبيرة بل و غير مسبوقة علي الصعيد الرسمي إذن ان الذين سعوا و جهدوا في عصر شيخ شلتوت لم تكن جماعة رسمية و ان كان عددهم كثيرا . و اما في عصرنا الحاضر اتفق اكثر العلماء علي تبليغ الوحدة الاسلامية مع غض للنظر عن الاختلافات الجزئية فيما بين المذاهب المختلفة فهل يجوز للعلماء ان يهتموا في هذه الظروف القاسية بربط اليدين او ارساله عندما قاموا للصلاة ؟ وان يعتنوا بجهر البسملة او خفضها ؟ لا : بل مشكلة المسلمين هي انهيار الأخلاق و تعطيل الشريعة و عدم التمسك بالوحدة الاسلامية و نقر فيما بيننا إن كفار الغرب و الشرق أعظم خطر يهدد كيان الاسلام و المسلمين فلا ننسي أن اعداؤنا الصليبيين و كتلتهم يترصدون فرصة الغزو لأخذ الانتقام من المسلمين لأنهم ذاقوا مرارة الهزيمة في عصر خلفاء الراشدين و صلاح الدين الايوبي ، و هناك مشكلة أخري و هي خطر اليهود علي أبناء البلاد المقدسة في داخل اراضيهم الطيبة و هي فلسطين و ايضا أمريكا الغاصبة في ديارنا الطيبة و هي عراق و البلدان الاسلاميةالأخري ، من الذي يقوم علي وجه هذه الطيارات و المشاكل المعضلة ؟ فهي سؤال جوابها : اتحاد العالم الاسلامي تحت راية علم الاسلام و قوانينه المحكمة الا و هي القرآن المجيد و العمل به و الاعتصام لمبانيه القيمة مع ترك التعصب المذهبي لان بنار التعصب المذهبي تحترق و تنهدم أفكار المسلمين و تضعف شوكة الاسلام إذا يسيطر الكفار و المنافقون من هذا المجال و تتفرق وحدتنا و يتشتت شملنا . ايها المسلم انظر الي واقع العالم الاسلامي حاضرو عدم إتحاد المسلمين و تشتت آراءهم ثم تفكر ! فما هو العلاج للخروج من هذه المصيبة الكبري ؟ فتجد جواب هذا السؤال في القرآن الكريم و هو ايجاد الوحدة الاسلامية و بناء الاخوة الاسلامية في العالم الاسلامي سواء كانوا أصحاب هذه الاتحاد سودا أو بيضا او عجما او عربا او غير ذلك . “ ان اكرمكم عندالله اتقاكم “ (22) و كما قال النبي (ص):” لا تختلفوا فتختلف قلوبكم” (23 ) رواه مسلم في صحيحه.

لا شك ان المسلمين قبل كل شيء و ان تعددت مذاهبهم يجمعهم الايمان بالله الواحد و برسالة محمد (ص) و بالقرآن الكريم و ان هناك ظروفا جغرافية و تاريخية ادت الي قيام المذاهب بعد وفاةالرسول (ص) و تفرق صحابته في البلدان ،و مع كل، منهم ما استطاع تلقيه و حفظه من رسول الله (ص) لكن ا ليوم تتوافر في أيدينا مدونات سنة رسول الله و بحوث علمائها مطبوعة علي الورق و علي الأقراص المدمجة ، محققه مفهرسة كما يجتمع لدينا التراث المنشور للمذاهب المتعددة كذلك تيسرت للمسلمين و علمائهم و طلابهم سبل الاتصال البشري المباشر و سبل الاتصال العلمي و الفكري بوسائل العصر السريعة المتقدمة . وقد تسني لهؤلاء أن يلتقوا في عديد من المؤتمرات و في كثير من المناسبات في مختلف البلدان و أن يقروأ الكتب و الدوريات المنشورة لمختلف المذاهب أن يتواصلوا عبر الهاتف و البريد الأ لكتروني و الأنترنت و هكذا تيسر تماما اطلاع لاتباع كل مذهب أن يطلعوا علي ما عند غيرهم من المذاهب الاخري. الحمدلله و المنة ينعقد المؤتمر الاسلامي سنويا بمناسبة اسبوع الوحدة الاسلامية في الجمهورية الاسلامية و هذه مناسبة عظيمة لاتصال العلماء لتحقيق الاهداف الهامة فيما بين المسلمين و هي التقريب بين المذاهب و الاخوة الاسلامية و هذه المؤتمرات تنعقد منذ سنوات كثيرة في الجمهورية الاسلامية و يجتمع فيها العلماء الكبار و المفكرين من البلدان الاسلاميةو يلقون محاضرات طيبة و مفيدة حول تروجي الاسلام و ايجاد الوحدة الاسلامية و بهذا الفكر الاسلامي تنبه عالم االاسلام من نوم أمام مسئوليته الخطيرة .

و الكفار غربيهم و شرقيهم مع اختلاف مذاهبهم أعداء علي الاسلام و المسلمين و يعتقدون ان قانون العالم يجري بأمرهم و باختيارهم و ها هي العولمة ، و لا يحسبون العالم الاسلامي شيئا معتبرا ، و علي رغم أفكارهم المزيفة ، فان الاسلام و العالم الاسلامي للمسلمين كما قال الله تعالي لمحمد (ص):” لولاك لما خلقت الافلاك” ، و كما قال الله تعالي:” ان الدين عند الله الاسلام الخ “اذن فالواجب ان يكون المسلمون يدا واحدة وصفا واحدا و قلبا واحدا فيما فيه خيرهم و صدحهم و استقامة دينهم و دنياهم فبذلك يصلون الي عزهم الذي كتب الله لهم:” و لينصرالله من ينصره ان الله لقوي عزيز “ فشدوا أيها المسلمون أيديكم بعضها ببعض و كونوا كما وصفكم نبيكم كالبنيان يشد بعضه بعضا و شبك بين اصابعه خذوا علي أيدي السفهاء و أطروهم علي الحق أطرا و قاوموا بالقوة و الارادة حملات وفود التبشرية لان خطر هؤلاء اعظم من أي خطر آخر لانهم يرسلون من بلاد الغرب و امريكا الي البلاد الاسلامية لواجب مختلف في وظيفة مختلفة ولكن واجبهم الحقيقي معلوم عندنا وهو التنصير من طريق صرف المبالغ الكثيرة و هم يدخلون في قلوب عوام الناس بالإيمان و التعاون و تأسيس مراكز التعليم و التربية مثلا كان هكذا في زمن الماضي في اندونيسيا و البلدان الأخري و ايضا في ايران في عهد البهلوي .

التعليقات:

1- الانفال / 75

2 - الحشر / 9

3 - الانفال/72

4 - تفسير البرهان، ج 1،ص 362 عن الزمحشري و ابن شهر آشوب و تفسير الميزان، ج4، ص 357 و غيرهما من المصادر .

5 - الملل و النحل ، ج4 ،ص7 ونهج البلاغة، الخطبة 127.

6 - آل عمران / 103

7 - انفال / 46

8 - الكهف / 54

9 - الحشر/ 9

10 - الانبياء/ 105

11 - الحج / 41

12 - مريم / 96

13 - آل عمران / 103

14 - الانعام / 153

15 - البقرة / 144

16 - الحجرات / 13

17 - آل عمران /104 - 105

18 - النساء / 59

19 - انفال / 1

20 - الحجرات / 10

21 - الحشر / 2

22- الحجرات/13

فهرس مصادرالتعليقات:

1ـ قرآن الكريم

2 ـ نهج البلاغه، ترجمة الدكتور جعفر شهيدي، علمي و فرهنگي، تهران،1374 هـ ش.

3ـ حلي، ابوالقاسم نجم الدين جعفربن الحسن، المختصر النافع في فقه الامامية، مؤسسة مطبوعات ديني، قم.

4ـ سبحاني، جعفر، بحوث في الملل و النحل، الدار الاسلامية، بيروت.

5 ـ طباطبايي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، جماعة المدرسين في حوزة قم العلمية ، قم.